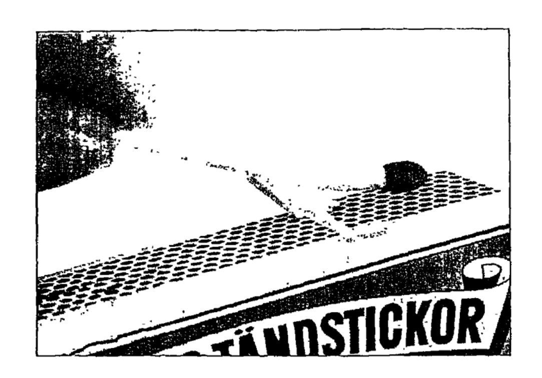
عود ثقاب واحد

مجموعة قصص قصيرة

نجلاء سري





مجموعة قصص قصيرة

نجلاء سري



رقم الإيداع

٢٠٠٨/٢٢٨٩٢

مطبعة غباشى : ٠٤٠،٣٣٣٤٨٩٨

إهـــداء

إلى توأم روحي

وحبيبة قلبي

ورفيقة عمري

وصاحبة أفكاري

إلى الحضن الدافئ .. أمي الغالية : مواهب

أهدي لها ما أنعم به المولى عز وجل عليّ من أفكار

شكلت باكورة أعمالي القصصية .



الإمتحان

الإمتحان

انتفض ونهض من فراشه في هلع ودون أن يغتسل.. ارتدى ثيابه، ثم وضع بعض الأقلام في جيب قميصه.. وفي لمحة فتح باب شقته وانطلق ينزل درجات السلم في قفزات طويلة.. سريعة، وفي دقائق معدودة وقف ينتظر العربة التي ستقله إلى البلدة التي سيؤدي بها إمتحان آخر العام في قلق، ورغم أن الوقت مازال مبكراً فساعته تشير إلى السابعة وميعاد الامتحان في التاسعة، إلا أن البلدة تبعد عن بلدته بأكثر من ساعتين، لذا.. مرت الدقائق بطيئة وهو ينتظر ظهور عربة تقله إلى تلك البلدة، فعصف به القلق حتى أن يديه ارتعشت وجبهته تفصدت عرقاً.. إلى أن برزت أمامه عربة ينادي سائقها باسم البلدة التي سيسافر إليها، فقفز داخلها في سرعة وانطلقت، ولكنه ظل يتطلع إلى ساعته بين الفينة والفينة ثم يهز قدميه ويتلفت يميناً يساراً ولما استبد به الخوف صاح بالسائق: أسرع بالله عليك.. فلم يعد يتبقى أمامي من الوقت إلا القليل.

فرد عليه السائق: إنني أنطلق في حدود السرعة المسموح بها، ثم استطرد: تمهل يا بني واصبر. فصمت الشاب واستسلم لكلماته



ولكنه لم يفلح في إخفاء توتره والنظر نحو ساعته من آن لآخر، وفجأة.. انفجر الإطار الأمامي للسيارة، فتوقف السائق قائلاً بصوت عال: هذا هو القدر الذي لا مفر منه.

فوقف الشاب وانتظر رغماً عنه حتى إذا ما انتهى السائق، عادت السيارة تنطلق من جديد، وعقارب الساعة فوق يد الشاب قد تخطت التاسعة، وهنا.. كاد ينفجر من البكاء، فلم يعد يتبقى له سوى تقديم الاعتذارات للمراقبين، ولكن الوساوس المشئومة عادت تهاجمه في شراسة، فماذا لو لم يتقبلوا اعتذاره ورفضوا دخوله اللجنة، فاجتاحته برودة شديدة اصطكت معها أسنانه محدثة صوتاً عال مما دعى أحد الركاب يربت على كتفيه قائلاً في ثقة: لا تخشى شيئاً يا صديقي.. فكل شيء مكتوب بقدر.

فسكت الشاب وتحولت عيناه إلى كتلتين .. جامدتين من الصخر، ثم انتبه على صوت السائق وهو يصيح : حمداً لله على سلامتكم.. لقد وصلنا، فقفز الشاب في سرعة من السيارة ووقف بالمحطة ينتظر العربة التي ستقله إلى مدرسته، ولكنه مع شروده وتعجله ركب في إتجاه آخر ونزل في مكان مجهول بعيداً كل البعد عن مدرسته، ولما كان يجهل شوارع تلك البلدة وضواحيها، ضل الطريق.. وسار يتخبط في اتجاهات متضادة.. سأل وسأل عن الطريف الذي

يسلكه.. وأخيراً تمكن من الوصول.. ولكنه فوجئ بالباب الحديدي مغلق بسلاسل غليظة، وفي قلق نظر من بين فراغات الباب .. فإذا بالمدرسة خالية تماماً ، فأدرك أن ميعاد الامتحان قد انتهى، وفي يأس حمل قدمين ثقيلتين عبر بهما شوارع البلدة ليعود من حيث أتى.. خائب الرجاء.. محطم الأمل.. فاختلطت دموعه بعرقه المتصبب ليشكلان معاً منظراً يدعو إلى الرثاء، ولكنه إنتبه على صوت أيقظه من غفوته.. كان هذا الصوت صوت الآذان، مما دعاه إلى التحول نحو المسجد.. فخلع نعليه.. ووقف بين صفوف المصليين، ولكنه فوجئ بهم يجلسون.. فجلس بينهم، ثم إذا به يرى الإمام يصعد المنبر ثم يعلو صوته فيقول : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ص) ، أيها الناس.. إن هذا اليوم لهو أحب الأيام إلى الله عز وجل.. فهو اليوم الذي خلق فيه آدم، وهو يوم قيام الساعة، وهو يوم عيد في السماوات والأرض.

سمع الشاب تلك الكلمات غير مصدقٌ ثم أدرفت عيناه دمعتين.. ساخنتين لم تكونا بالطبع سوى دموع الفرح.......

المباراة

المباراة

كاد قلبي ينتزع من ضلوعي مع تلك الصيحات التي ارتفعت عقب إحراز الهدف الأول للفريق الذي جلست بين جمهوره، وبعدما أفقت من الصدمة.. استجمعت شتات نفسي وتذكرت كيف أتيت إلى هذا المكان غير المألوف إلي؟، وكيف أجلس وسط هذا الحشد الغريب؟، تذكرت تلك الأيادي الكثيرة التي كسرت باب شقتي بذلك الحي البائس.. التائه.. خامل الذكر الذي أعيش وسط سكانه الذي يحيون في عشوائية غير مسبوقة.. مع كونهم يحملون هموماً لا حصر لها.. وقد كنت مثلهم.. غير أنه لم يكن يعنيني إتباع مباريات كرة القدم.. ولم يخطر ببالي أن أتواجد بتلك المباريات ذات يوم.. حتى وجدتهم يلتفون حول فراشي الذي جلست به ولم أبرحه طيلة ثلاث أيام دون حراك.. ثم يحملوني من تلك الرقدة الصماء ويتوجهون بي إلى أحد الملاعب.. فأجلس بينهم لأشاهد إحدى مباريات كرة القدم.. ثم ما لبثت أن ألفت المكان.. ثم تلاشى رويداً.. رويداً.. إحساسي بالفزع عند صياحهم، بل إنني بعد قليل هتفت مثلهم، ثم أخذت أقوم وأنهض وأحتضنهم عند إحراز أحد الأهداف

أو السب والتأفف عند إخفاق الفريق في الوصول إلى المرمى، كنت أردد نفس التعليقات وأدق بيدي في انفعال، ثم إذا بالفريق يحرز هدفاً.. فارتفع صوتي وصوت جيراني.. هدف.. هدف، حتى إذا ما انتهت المباراة.. رفعت رأسي ونظرت نحوهم، فإذا بأفواههم مبتسمة، ولكن أعينهم كانت ممتلئة بدموع غزيرة.. دموع تملأ أرجاء العالم بمائها القاتم.. الحانق، فانتفضت وبكيت وبكيت.. حتى بكوا معي.. وامتلأ المعلب بأصوات نحيبنا....


مساحيق التجميل

مساحيق التجميل

دخلت إلى حجرته خلسة، بعد أن غادرها ورحل، أغلقت بابها، ثم توجهت نحو صوان ملابسه فأخرجتها.. وقبل ارتدائها.. تطلعت في مرآته إلى ملامح وجهي التي بدت حادة.. حانقة على الأشياء.. كما عكست نظراتي التي تفوح منها أشد وأعنف حالات الغضب والسخط.. توقفت برهة. ثم انتزعت ملابسي و ارتديت رداءه ذا الألوان الزاهية.. المتعددة، ومن درج مسرحته.. أخرجت مساحيق التجميل التي يغطي بها وجهه قبل عرض فقرته.. ثم غطيت بها وجهي.. طبقة تعلوها طبقة حتى اختفت ملامحي تماماً.. ثم وضعت طلاء الشفاه الأحمر الذي غطى شفتي الرقيقتين.. لتتحولا إلى شفتين بارزتين، ومع ارتداء حذائه الخفيف.. أصبحت هو.

حملت حقيبتي ثم فتحت الباب وخرجت أتلفت حولي حتى وصلت إلى الشارع، والواقع أنني لم أسرق مهنته لأمتهنها.. وإنما اندفعت نحو شكله.. طريقته.. ابتسامته المزيفة..أقتنصهم.. وأجوب بهم بين المارة.. الذين ما إن وقعت على أبصارهم.. حتى التفوا حولي.. يصفقون ويهللون.. معتقدين أنني سأعرض فقرة جديدة وسط

الميدان، فأقفز وأتحرك تلك الحركات الهزلية المصحوبة بعدد من الضحكات المصطنعة التي تبعث في نفوسهم البائسة لحظات من السعادة المؤقتة.. ولكنني لم ألتفت نحوهم، وإنما خرجت من بينهم.. وواصلت طريقي.. بوجهي المختفي خلف المساحيق والذي يحمل بركاناً من الغضب.. لا أدري ما سيخلفه إذا ما انفجر وعبر عن مكنونه ليكون حقيقة لا مجرد أفكار خاملة الذكر، فلما تركتهم.. تباعدوا وافترقوا.. تملأ نفوسهم الحائرة.. أسئلة عديدة حتى انشغلوا ثم تناسوا.. مضوا في طريقهم.. ثم اعتادوا على وجودي بينهم بهذا الوجه المختفي خلف المساحيق وتلك الابتسامة الزائفة.. دون أن أسري عنهم وأروح عن نفوسهم المشوبة باليأس وأعينهم على النسيان.....

التزام

الترام

اندفعت أنزل من الترام وأجري خلفها في محاولة للحاق بها، فقد عرفتها بردائها الأبيض الفضفاض فمن المستحيل أن تخطئها عيني، وحينما أسرعت الخطى.. دنوت منها ومددت يدي نحوها، شعرت بيدي الممدودة نحوها، فأطلقت ساقها للريح.. فلم أفقد إرادتي وعنادي واندفعت خلفها، فلن أتركها تفلت من يدي.. فلابد من موجهتها فرأيتها تعدو ثم تدخل أحد الحانات وهي تلهث وتتلفت حولها، فسرت في خطوات ممتدة مختبئاً خلف أحد الأعمدة، وفي هدوء اقتربت من الحانة، ولما أطللت برأسي تلاقت أعيننا، ففزعت وخرجت مسرعة من الباب الخلفي للحانة، فهرعت خلفها، ولما كانت الحانة ممتلئة بعدد لا حصر له من الزبائن.. أعاقوني عن اللحاق بها.. فانتهزت تلك الفرصة واندفعت تجري داخل ميدان كبير مزدحم، فتخلصت ممن أعاقوني للحاق بها وتمكنت بعد عناء من المضي وسط ذلك الميدان، غير أنها اندست بسهولة بينهم..

حتـى ابتعـدت وابتعـدت وتـراءت أمـام نـاظري نقطـة.. بيضـاء.. صغيرة.. ضائعة وبعيدة كل البعد عن المنال، ولكنني نفضت اليأس عن نفسـي، فجمعـت رباطـة جأشـي وعدوت باحثاً عنهـا فـي كـل الأمـاكن.. مجتـازاً كافـة العقبـات التـي ظهـرت أمـامي فـي الميدان، ولكنها اختفت تماماً.. ففقدت صـوابي وجريت فـي كافـة الأرجاء .. في الطرقات.. في الأزقة.. غير أنها اختفت تماماً .. اختفت بردائها الأبيض الفضفاض.......

الثريا



الثريا

المصابيح بالثريا البعيدة.. المعلقة بمنتصف السقف محترقة، جلست القرفصاء أسفل الثريا، لأفكر وأتدبر.. وبيدي عدداً من المصابيح السليمة.. ولكن المشكلة تكمن في بعد الثريا.. فهي بعيدة كل البعد عن متناول يدي .

نهضت ثم سرت في خطوات متئدة نحو المنضدة الصغيرة القائمة في أقصى الغرفة .. فدفعتها ولم أتكمن من حملها لثقلها فوضعتها أسفل الثريا، ثم صعدت فوقها ولكنني لم أتمكن من الوصول إلى الثريا ... فنزلت.. وحملت أحد الكراسي ووضعته فوق المنضدة وصعدت فوقهما معاً ، فاستطعت الوصول إليها.. وتمكنت من وضع أحد المصابيح الذي كنت أمسك به في يدي بقوة، فانبعث ضوء بسيط من الثريا، ثم نزلت وحملت المصباح الثاني ووضعته فزاد الضوء، وهكذا.. نزلت مرة ثم مرات .. حتى امتلأت المصابيح ، فانبعث ضوء باهر .. شديد .. دفعني للتطلع نحوها وأنا لم أزل بعد فوق الكرسي .. كانت بديعة بحق بالمصابيح التي تملأها والنقوش البديعة المحيطة بها.. كانت متعرجة.. تحمل أشكال

أزهار محاطة بورق شجر صغير مطلي باللون الذهبي ، ولكن مع الأسف كان منطفئاً لكونه مغطى بالأتربة ، فنزلت وأحضرت فوطة صغيرة ثم صعدت لأنظف الثريا، وقد تذرعت بالصبر حتى تمكنت من تنظيفها تماماً ، فبدى لونها الذهبي لامعاً .. أخاذاً . فوقفت برهة أتطلع إلى الثريا في سعادة وإعجاب ، حتى اهتز الكرسي الذي كنت واقفاً فوقه تحت الثريا هزة عنيفة، أفقدتني اتزاني، فمددت يدي رغماً عني وتعلقت بالثريا، فسقط الكرسي ، وتدلى جسدي في الهواء ، فانبعثت من فمي صرخات استغاثة.. لعل شخص ما يسمعني.. فيهرع لمساعدتي، ولكن صرخاتي ضاعت في الهواء، فاهتزت الثريا على إثر ثقل جسدي فهوت وهوى معها جسدي لنسقط فوق الأرض، ويداي ما تزالان ممسكتان بها ، وعلى الرغم من كافة الآلام التي انتشرت في جسدي، لم يهمني سوى انقاذ الثريا.. ولكنني لم أتمكن من حمايتها، فارتطمت بدوي شديد وتحطمت كل مصابيحها المضيئة، وعاد الظلام يخيم على الأرجاء ، فنهضت أبحث عن مصابيح جديدة لأعيد للثريا بريقها الذي اختفى وتلاشى فوق الأرض......

القميص والبنطلون

القميص والبنطلون

وفـي انفعـال فـتح بـاب شـقته ودلـف بـداخلها وهـو يحمـل فـي يديـه الحقيبة التي تحتوي على القميص والبنطلون الجديدين واللذين تمنى اقتناءهمـا منذ زمـن طويـل.. وفـي سـرعة نـزع "قميصـه وبنطلونـه القـديمين" ألقاهمـا فـوق الأريكـة، ثـم ارتـدى قميصـه وبنطلونـه الجديدين وأخذ يتطلع نحو هيئتـه الجديـدة أمـام المرآة.. وقد غمـرت النشوة نفسه وهو يرى نفسه بذلك الزي الجديد، وسرح بخياله الذي رسم لـه مدى الانبهـار الـذي سيصـيب المـارة حينمـا ينظـرون نحـوه وهو يختال بذلك الزي الجديد، ثم توقفت تلك الحالة الهستيرية وعاد لحالته الطبيعية، جلس قليلاً.. ثم امتـدت يـده نحـو قميصـه وبنطلونـه الجديدين لينزعهمـا عـن جسـده، غيـر أنهمـا رفضـا الإذعـان لمطلبـه والخضـوع لرغبتـه.. فحـاول فـك أزرار القمـيص أو زر البنطلـون ولكنهمـا أبيـا الانحـلال عـن جسـده والتصـقا بجسـده تمامـاً ، فثـارت ثائرته.. وحاول مرة أخرى.. ولكن هيهات .. فقد فـات الأوان .. إنـه يشعر بشدة التصاقهما.. إنـهما يؤلمانه وهو لا يستطيع الفكـاك .. إنـه نوع غريب من الأقمشة لا تتمكن الأصابع من الامساك بها.. فانهار

الشاب فوق الأرض وتدحرج فوقها من شدة الألم الذي أحاط بجسده كله إثر ذلك الالتصاق ، وفـي ألـم جمـع قوتـه وزحـف فـوق الأرض حتـى تمكـن مـن الوصـول إلـى المطبخ ثـم تحامـل علـى قدميـه حتـى استطـاع الوقوف فتناول سكيناً وبدأ يحاول تمزيق ذلك الزي اللعين، ولكنــه لـم يتمـزق ، فعـاود المحاولـة مـرات ومـرات، ولكـن تلـك المحاولات لم ينجم عنها سوى جروحاً كثيرة أحدثتها تلك السكين الحادة التـي عبرت القماش واخترقته لتمزق لحمـه، فنزفت جروحـه بغزارة، وسقط مرة أخرى فوق الأرض، ودفن وجهه فـي راحتـه وهو ينتحب، ولما أفاق عاود الزحف من جديد ولكن فـي تلك المرة التصق القميص والبنطلون الجديدين بجسده أكثر وأكثر ممـا أعاقـه عن القدرة عن تحريك قدميه أو يديه ، فظل يبكي ويتحسر قائلاً فـي مرارة : إنه نوع غريب من الملابس .. ليتنـي مـا ابتعتـه، ومـن بين دموعه أخذ يبحث بعينـه عن قميصـه وبنطلونـه القديمين، فوجـدهما قابعين فوق الأريكة.. وهنا.. انطلقت مـن عينيـه نظـرة .. هـي أقسـى ما تكون من نظرات الندم........

الصابونة

الصابونة

بحثت عنها في كل مكان ولم أجدها.. في صوان ملابسي.. تحت السرير وبين الأغطية.. داخل الأدراج وتحت السجاجيد.. وبعد انقضاء يوم شاق من البحث والتنقيب.. لم أفلح في العثور عليها لتزيل عن يدي المتسختين تلك الرائحة الكريهة التي علقت بها.

فضربت كفاً بكف قائلاً في عجب: صابونة واحدة لا يمكنني العثور عليها.. صابونة تخلصني من تلك الرائحة المقززة.. ثم تزاحمت الأفكار في مخيلتي.. فتارة أفكر في طرق أحد أبواب الجيران أو النزول إلى أحد المتاجر لشرائها، وما كدت أفعلها وأحقق أحد الاختيارين حتى تذكرت منظري المقزز ورائحتي العفنة والتي ستجعل مني أضحوكة يعبث بها العابثون، فاستسلمت وألقيت بجسدي فوق أحد المقاعد لأفكر.. وفي رفق حركت قدمي يميناً ويساراً في حركات دائرية لا شعورية حتى شعرت بجسم صلب يلمس قدمي، فانحنيت التقطه.. فإذا بها تلك الصابونة التي أدارت رأسي وأرهقتني طيلة اليوم.

فقفزت من فوق مقعدي وطوحتها في الهواء ثم عاودت التقاطها في نشوة عارمة، وعلى الفور توجهت نحو الحمام وانتزعت ملابسي بأكملها، فلم يعد يكفيني الآن غسل يدي فقط، ثم فتحت الصنبور وأمسكت بالصابونة لأبدأ الاستحمام.. ولكن جسدي انزلق فجأة في لحظة لم أتوقعها، فحاولت التشبث بالصنبور أو الحوض ولكنني سقطت فأفلتت الصابونة من يدي وتدحرجت.. وتتبعت مسارها بعيني في هلع.. وفي سرعة نهضت للإمساك بها متجاهلاً الآلام المنبعثة من جسدي غير أن ارتعاشة يدي أفلتتها مرة أخرى.. فتحركت في سرعة مقتربة من البالوعة، وفي رفق دنوت منها حتى تمكنت من الإمساك بها، ولكن أثناء نهوضي اصطدمت يدي بالحائط فانزلقت الصابونة مرة أخرى ولكنها في تلك المرة سقطت داخل البالوعة ثم تلاشت، توقفت لالتقاط أنفاسي في ألم ثم تقدمت نحو المشجب لألتقط ملابسي وأرتديها، ثم فتحت الباب وخرجت باحثاً عن صابونة تزيل عن جسدي تلك الرائحة الكريهة.. غير عابئ بنظرات السخرية المنطلقة نحوي من عيون المارة....

عود ثقاب واحد

عود ثقاب واحد

نفدت وسائل الإضاءة التي كنا نحتفظ بها في بيوتنا.. فأرغمنا على قضاء ليالٍ مظلمة.. موحشة.. قاسية وسط ظلام حالك خيم على مدينتنا زمناً طويلاً.. فثارت ثائرتنا.. ونهضنا من مضاجعنا.. تتشابك أيدينا لنتحسس طريقنا.. أعداد مهولة من البشر لنقف أمام شبكة الكهرباء.. بأبوابها الموصدة، فنصيح ونهتف بالعاملين داخلها.. لنعرف أسباب انقطاع التيار الكهربائي عن مدينتنا.

ولكن رغم تجمهرنا واحتشادنا.. بقوا قابعين داخلها.. غير عابئين بصرخاتنا.

فشعرت بمرارة بالغة وسط ذلك التجمهر البشري الهائل دفعني لأصرخ في قوة قائلة: إن العاملين داخل الشبكة يستهينون بنا.. فهم يعتقدون أننا لا نملك سوى تلك الصرخات البائسة.. ثم ما نلبث أن نلوذ بالصمت والمكث وسط ذلك الظلام الدامس كسابق عهدنا، لذا.. علينا عبور تلك الشبكة وإصلاح العطل بأيدينا، فنظروا نحوي



وقد حملت أعينهم تساؤلات عديدة، ثم استأنفت كلماتي التي عادت تخرج في قوة أشد وأعنف من ذي قبل.

علينا أن نبحث عن أي وسيلة للإضاءة تمكننا من دخول تلك الشبكة ومعرفة ما يجري بداخلها، ثم صمت ونظرت نحوهم لمعرفة ردود أفعالهم، فإذا بالأمل يشتعل في نفوسهم، والحماس يدب في أوصالهم، وبدأت عملية البحث والتنقيب، فالنساء يبحثن في حقائبهن والرجال في جيوبهم والأطفال والشيوخ يشاركونهم في البحث، وبعد مجهود مضن، عثر أحد الشباب على شمعة فلوح بها قائلاً في فرح: ها قد عثرت على الشمعة !

فرددت في حماس: علينا الآن العثور على عود الثقاب، فظهرت خيبة الأمل على الوجوه، وكادت أعداد كبيرة منا تعود أدراجها، حتى تناهى إلى مسامعنا صوتٌ لفتاة تصيح في يأس: لقد عثرت على علبة ثقاب.. ولكن.. ولكن ليس بها سوى عود ثقاب واحد.

فهتفت في قوة: هلمي به إلي. ووسط تلك الأعداد المهولة أمسكت بعلبة الثقاب وأخرجته منها، فالتف الجميع حولي.. واحتبست

أنفاسـهم، وأخـذت أحـك العـود بالعلبـة.. ولكـن رغـم تلامـس العـود بالعلبـة.. لـم يشـتعل، فارتجفـت يـداي وتصـبب العـرق مـن جبهتـي بغزارة.. وفـي إصـرار عـاودت حـك العـود بالعلبـة.. غيـر أنـه أبـى الاشـتعال، ففقـد الجميـع أعصـابهم وتسـلل اليـأس إلـى نفوسـهم، ثـم نظروا نحوي قائلين: **لا فائدة.. لا فائدة.**

ولكنني استجمعت شـجاعتي ولملمت عزيمتـي لأمسك بعود الثقاب وأحكه بالعلبة مرة أخرى، وأمام تلك الأنفاس المكتومـة والنظرات اليائسـة.. الزائفـة.. الحـائرة.. اشـتعل العـود، وفـي سـرعة أدنيتـه مـن فتيل الشمعة التي قبضت عليها في قوة، ونظرت نحوهم في ثقة فإذا بالأمل يبزغ فيه العيون والحماس يضـئ النفوس التـي اقتربت منـي الواحد تلـو الآخـر.. حتـى تكاتفت أيدينا والتصـقت أكتافنـا.. وسـرنا نحو شبكة الكهرباء.. حاملين معاً الشمعة.

اللعاب

اللعاب

كانت تلك الصفعة التي تلقيتها من أمي في ذلك اليوم المشؤوم قوية بحق، وأنا لم أناهز بعد السادسة من عمري، والحقيقة أنني لن أنسى هذا اليوم ما حييت.. إذ أنه كان يوم حافل بالصفعات، وكان السبب في تلك الصفعة التي تلقيتها من أمي هو أنني ودون قصد.. أشرت إلها لتمسح اللعاب الغزير الذي كان يسيل من بين جانبي شفتيها، فلم تصدقني.. ووقفت أمام المرآة.. ثم التفتت واندفعت نحوي وصفعتني بقوة قائلة وهى تلهث من فرط انفعالها: لا تدعي تلك السخافات مرة أخرى.. ثم نهرتني قائلة: ألا تعلم ما يحدث للكذاب.. إن جزاءه جهنم وبئس المصير، ثم تركتني أبكي وأتساءل: ألا ترى أمي لعابها الغزير؟

أما عن كونه كان يوم حافل بالصفعات كما نوهت آنفاً، فهذا لأن أبي حينما عاد من عمله وجلس على الأريكة.. نظرت نحوه فإذا بنفس اللعاب يسيل من فمه هو الآخر، فأحضرت منديل ومددت يدي نحو فم أبي لأمسح لعابه الغزير، فإذا بصفعة أشد وأعنف تسقط على وجهي، ثم صاح في وجهي: قليل الأدب..

فهرولت أمي على إثر صياح أبي ولما علمت السبب، أبدت فعلة أبي معي، ثم صاحا قائلين معاً: إنه عالم الأطفال.. عالم الخيال، وتركاني وحدي أتألم من وقع صفعتين لم أدر يومها سبباً لهما.

والحقيقة أنني كنت أرى هذا اللعاب يسيل من كل من يحطونني من الكبار.. المعلمين.. البواب.. أصدقاء والدي.. وغيرهم غير أنني أثرت الصمت خشية التعرض لعقاب رادع كيوم الصفعات الذي قصصته من قبل، ومع ذلك كنت أتعجب في قرارة نفسي وأتساءل: كيف لا يشعرون بما يخرج من أفواههم.. وكعادة الزمان الذي لا تتوقف عجلته دفعني نحو الحياة لتتلقفني بين ذراعيها وتنقلني من عام لآخر، حتى نسيت واندسست بين عالم المصالح والأعمال.. أروح وأغدو..، ثم إذا بي في يوم.. أقف لأعدل من هندامي أمام المرآة.. فإذا بي أراه بوضوح يسيل بغزارة من فمي، فأشحت بوجهي وتجاهلت وجوده، وعلمت.. علمت لما تلقيت في طفولتي صفعتين قويتين.. لا أدري سبباً لهما....

الحكة

الحكة

انطلقت ضحكات وصلت إلى حد القهقهة.. ينثني أصحابها من شدة الضحك حتى تدمع أعينهم، والحقيقة أن الموقف كان يدعو حتماً للضحك، فهذا الرجل الجالس أمامهم.. كان يحك جسده كله، فتارة يحك ساقه وتارة ذراعيه وأخرى شعره أو قفاه، وإذ ما تعثر عليه الوصول إلى جزء بعيد في ظهره، قام بحكه في أي شيء يحيط به.. في الكراسي أو أعمدة الحوائط أو أي وسيلة تمكنه من إيقاف هذه الحالة، ولكنه كان ينهض رغماً عنه إذا ما اشتدت ضحكاتهم، ولكن هيهات.. لم يتمكن أبداً من إيقاف حالة الهياج تلك التي تنهش جلده أثناء سيره، مما كان يدعوه للتحرك.. حركات غريبة تستفز ضحكاتهم.. التي تعلو وتعلو.. حتى يفر عدواً رغم تلك الحالة المنبعثة من جسده والتي لازمته منذ شبابه، والتي لا يعرف لها سبباً رغم تعرضه للكشف آلاف المرات عند عدد لا حصر له من الأطباء.. ولكنهم لم يتمكنوا من التعرف على سبب تلك الحكة، حتى

انتشـرت فـي كـل خليـة مـن خليـاه.. فأصـبح مثـار سـخرية النـاس واشـمئزازهم.. فضـلاً عـن حالـة الأرق التـي لاحقتـه وحرمتـه مـن النوم.. حتـى أصـبحت تصـاحبه.. تلازمـه كظلـه.. تتعبـه.. لتتملكـه.. تنغص عيشـه، فـانزوى وحيداً فـي مسكنه واعتـزل النـاس، يتجـافى جسده عن مضـجعه.. فيقضـي يومـه.. كلـه فـي حـك جسـده، والبحـث عن دواء يمكنه من وقف تلك الحكة والقضاء عليها....

قوالب طوب

قوالب طوب

فـي الحـذاء ذي الأربطـة الكثيـرة المتفرعـة مـن الفتحـات الضـيقة.. المتناغمـة فـي صـفين متقـابلين ممتـدين إلـى أعلـى الرقبـة.. العاليـة.. المسـتديرة، وضـعت قـدمي.. العاريـة وشـددت علـى الأربطـة بقـوة حتـى أحكمـت انقباضـها، وقـد اقتنيتـه علـى الـرغم مـن كـوني أشـن معركة ضارية معه لأرتديه يومياً، إذ أن إحكام رباطـه ليس بـالأمر الـهين، فهو يحتاج مني الجلوس على الأرض ثم الانحناء حتـى أكـاد ألمـس ركبتـي بجبهتـي، ثـم أجـذب الربـاط مـن كلتـا الفتحتـين وفـي النهاية أعقد الرباط بشدة حتى لا ينحل في الطريق أثناء ذهـابي إلـى المدرسة التي أعمل بها، حيث أتلمس خطاي وأسير متصنعة الوقار والهيبـة بثيـابي الأنيقـة ونظـارتي الطبيـة القائمـة فوق وجهـي والتـي ينفذ من تحتها أنفي في غطرسة.. مستفزة، أمشي على تلك الصـورة المزيفة.. تتأجج بداخلي مشـاعر صـبيانية.. مستترة ورغبـة جامحـة في السير فوق قوالب الطوب المتراكمة حول الأرصفة العديدة التـي يعج بها الشـارع.. كما كنت أفعل وأنا لم أزل بعد.. طفلـة.. صـغيرة، أتسابق مع أقراني في تحد.. فأتجاوز قوالب الطوب في سرعة دون

السقوط من فوق الرصيف.. فيضحك أقراني وأضحك ونعاود التسابق من جديد، ولكنه أصبح الآن أمراً من الصعب تحقيقه، فما لبثت أن عاودت السير فوق الأرصفة في تؤدة واتزان مبتعدة بجسدي عن قوالب الطوب.. حتى بلغت عملي فجلست بحجرة المعلمين متظاهرة بتصحيح بعض الأوراق، وأنا أنظر خلسة نحو الأطفال اللذين يقفزون ويمرحون.. بأحذيتهم الضعيفة الخالية من الأربطة والتي كانت تتخلع عن أقدامهم في كثير من الأحيان دون أن يشعروا بالخجل.. نهضت بعد قليل وتوجهت نحو فصلي.. ولكنني شعرت بألم شديد يعتصر صدري مما أعاقني عن الشرح، ففتحت الباب وسرت في الطرقات حتى بلغت البوابة التي فتحتها هي الأخرى.. وخرجت.. أترنح كالسكارى.. ونظراتي المتشوقة العطشى.. مصوبة نحو قوالب الطوب، واتخذت قراري، فانحنيت وأحللت الأربطة المحكمة التي تحيط بحذائي.. ثم خلعت الحذاء.. وقذفته حتى طار في الهواء وافترش أرجاء الشارع.. ولم أبالي بتجمع المارة حولي في استنكار وسخرية، فوقفت أمامهم عارية القدمين، وسرت فوق قوالب الطوب وعبرتها جميعاً في سرعة دون أن يخالجني أدنى شعور بالخجل....

الخط المستقيم

الخط المستقيم

لا أعلم من أين تكون البداية؟ ، ولا كيف تكون النهاية؟ ، حيث أنني أقـف بالمنتصـف تمامـاً تحيطنـي أشـكال كثيـرة، بعضــها منحنــي والبعض الآخر دائري أو مستقيم، وحينما تطلعت ببصري نحوهم.. رأيت كـل الأشـكال بعيدة.. بعيـدة حتـى خلـت أننـي لـن أتمكـن مـن بلوغها، ثم تساءلت ترى ما هو الشكل الذي أختـاره؟! ، سؤال ظل يلاحقنــي.. وأنــا أقــف بالمنتصــف، لا أجـد مـن يـدلني أو يجيبنــي، فـالجميع بـلا اهتمـام.. يعتقـدون أن الطريقـة العشـوائية هـي السـبيل الوحيد للوصـول.

ولكنني لم أقتنع.. ففكرت في شدة، ولما أعياني التفكير جلست فوق الأرض أداعب ترابها.. ألمسه بأصابعي الطويلـة.. الشـبيهة بأصـابع فنان، ثم تشممت رائحته الزكية، وواصلت التفكير متسائلاً: من أين يمكنني أن أبدأ؟ ، وأين أنتهي؟ ، لذا.. نهضت وأخذت أدور في بطء حول نفسي، ثم قلت في هدوء.. فلأكون من أهل اليمين، ومضيت..

مضـيت فـي خـوف وحيـرة، فهـل يمكننـي الوصـول إلـى البدايـة ومعرفة النهاية؟! ، فقد أتسبب في شقائي وقد أصل إلى السعادة، قد أضـل.. وقد أصيب، ولكن لما التعجل؟ ، فسـأعرف النتيجة عبر الأيـام والسـنين، وهكـذا.. عبـرت الأرجـاء.. فتلقتنـي الـدروب واحتـوتني الأجـواء، أغفـو وأسـتيقظ، أحلـم وأرسـم، وبـين تلـك اللحظات.. الأيام.. الدقائق، التـي تجمعت لتكون سنوات وسنوات، لاحت تباشير الأمل، فأسرعت الخطـى، لأتلقف طفلتي الصغيرة وأعرف البداية.. بداية بلوغ النهاية....

صالة الإنتظار

صالة الانتظار

تسلل الملل إلى نفسي رويداً.. رويداً حتى تحول إلى قلق عاصف استبد بي ودفعني للتلفت بين الحين والآخر.. نحو ذلك الباب الموصد وسلم الصعود، ثم نحو الأروقة والطرقات البعيدة.. باحثة عن طبيب الرمد الذي أتيته لتوي حينما داهمني اليوم ألم شديد.. أدى إلى تورم عيني واحمرارها.. مما أسفر عن تشوش الصور أمامي واختلاطها.. فضلاً عن ومضات ظهرت فجأة ثم اختفت، فجلست في صالة الانتظار أمام عيادة الرمد في انتظار قدوم الطبيب الذي أنتظره منذ ساعتين.. تجولت أثناءها ببصري حيث وجدت عدداً كبيراً ممن يعانون من آفات العيون، يفترشون المقاعد أو يقفون على أقدامهم حتى يحضر الطبيب، ولم يجول بخاطري أبداً أن أمراض العيون منتشرة إلى هذا الحد، في كافة الأعمار.. ولكنها كانت منتشرة بشدة.. مما دعاهم للجلوس في صالة الانتظار.. حتى يتخلصوا من آلامهم.. ولكن الوقت مضى دون أن يظهر الطبيب، فنهضت أمام الباب الموصد وفي انفعال أخذت أدق عليه بكلتا يداي، ولكن لم يجبني أحد، فعاودت الدق مرات ومرات، حتى رآني أحد المرضى فحذا حذوي.. ثم تتابع المرضى في تناغم عجيب، وارتفعت أصوات دقاتنا فارتج المكان في قوه على صوت

دقاتنا القوية التي حملت الممرضات والأطباء على الصياح في وجوهنا قائلين: الطبيب ليس بالداخل.

فرددنا في صوت واحد: كذب.. إنه بالداخل.. دعوه يخرج.

فصاحوا مرة أخرى: قلنا إنه ليس بالداخل.

فقلنا في نفس واحد: إذن أين هو؟

فأجابونا، ربما في حجرة العمليات أو في أحد العنابر، ثم أردفوا في حدة مشوبة بالتهديد والوعيد: عليكم بالتزام الصمت والجلوس في أماكنكم لحين عودته.

ولكننا لم نأبه لوعيدهم، ولم تخيفنا تهديداتهم، وإذا بنا نتخطاهم، كل منا يساعد الآخر، فسرنا عبر أروقة المستشفى وبين طرقاتها.. نبحث في كل مكان، حتى نعثر على طبيب الرمد، الذي سيداوي أفاتنا وعللنا التي داهمت أعيننا وجعلت منها ظلالاً تتوارى قابعة خلف الجدران، تحاول الخروج عبر النافذة المفتوحة في وميض.. متوهج.. وضاء.. ليعبره متخطياً حاجز الظلام....


أخي

أخي

ارتميت بين أحضانه يعصف بي الشوق في عاطفة جارفة.. دفعتني لأنهال على وجنتيه فألثمهما في نهم ثم قبلت كتفيه ويديه، الم يكن ذلك أخي الذي غاب عني سنوات طويلة؟ ، أليس هذا أخي الذي كنت ألقي بهمومي فوق عاتقه ويلقي بهمومه فوق عاتقي، فنتقاسمهما كما لو كانتا هماً واحداً لا يتجزأ؟ ، ألم يكن هذا أخي الذي أقسم أن يكون رحيله سبيلاً لتحطيم الماضي الأليم؟ ، وها.. قد عاد من تلك البلاد البعيدة.

ولكنني ابتعدت عن أخي وأوقفت هذا السيل الجارف من القبلات لأتطلع إلى قسمات وجهه التي بدت لي باردة برودة الثلج، فرغم انفراج ذراعيه عند لقائي وذاك العناق الطويل الذي وهبني إياه.. لم أشعر سوى بفتور عاطفته.. فلفظته بعيداً عني في غير قسوة وفي غير تشبث منه وجلست قبالته فوق أحد الكراسي الضخمة التي امتلأ بها منزله، وجلس هو فوق أريكة كبيرة يتطلع نحوي ويثرثر

ببطولاته التي تراءت أمام مخيلتي تافهة.. عديمة النفع، وقليلاً.. قليلاً لم أعد أسمع صوته الفرح.. المتغطرس، بينما أخذت أدور بعيني بين أرجاء منزله الذي اقتناه عند عودته والذي كان ينم عن فخامة آثاثه وعلو ذوق طرازه بتلك الثريا المتلألئة والتي بدت لي رغم أضوائها الخلابة تبعث في نفسي ظلمة.. قاتمة في ليل أسود.. عميق، بل وبت أرى ذلك البهو رغم اتساعه.. شديد الضيق حتى أوشكت أن تختنق معه أنفاسي وأصبحت أبدو بملابسي المهلهلة وحذائي الرث كجيفة قذرة، وقبل أن أسقط مغشية علي، تحاملت ونهضت من مكاني وتركت أخي بأناقته وحلته الفاخرة وهو يصيح من خلفي ليستحثني على البقاء، وخرجت.. سالكة الطريق نحو منزلي الصغير.. بجدرانه الأربعة والنافذة الضيقة التي لا ينبعث منها سوى بصيص.. ضئيل من ضوء النهار، فدخلت أتقوقع بين الجدارن، لأحاول لملة شتات الماضي في انتظار عودة أخي الراحل من تلك البلاد البعيدة....

المطعم

المطعم

حول المائدة المستديرة بذلك المطعم الكبير.. جلست أنتظره، رغم أنني لا أعرفه.. ولكن لقاءنا كان في الثالثة ظهراً.. غير أنني وصلت مبكرة عن موعدي نصف ساعة فقد خلت أنه قد يأتي مبكراً هو الآخر فينتظرني.. فإذا ما طال به الانتظار رحل.. وأنا في أمس الحاجة إليه، وتساءلت في قرارة نفسي ترى من يكون؟ ، وما هي أوصافه؟ ، أهو طويل أم قصير؟ ، نحيف أم بدين؟ ، أشقر أم أسمر؟ ، وبعينين.. ثابتتين محدقتين نظرت نحو باب المطعم، ولكن الوقت مر ثقيلاً.. طويلاً.. بطيئاً، حتى دخل شاب قصير ذا شعر أشعث طويل، فتقدم نحو المائدة المجاورة لمائدتي وجلس، فتريثت قليلاً ثم تطلعت نحوه في حذر وما كدت أنهض لمحادثته حتى رأيت فتاة.. حسناء تتقدم نحوه فينهض لاستقبالها، فعرفت أنه ليس من أنتظره، فمكثت في انتظاره مرة أخرى، والنادلون من حولي يروحون ويذهبون بالطلبات ويتطلعون نحوي في تعجب وأعينهم

تحمل نحوي العديد من التساؤلات، فتملكنـي الحـرج و تململت فـي جلستي وفي خجل نظرت إلى ساعتي التـي أشـارت إلـى الثالثـة إلا خمس دقائق، فقلت في نفسي: لم يزل هناك خمسة دقائق، وفجأة لمحت شاباً طويلاً.. أصلع يدخل المطعم ويجلس خلفي تماماً، فقلت في همس: لاشك أنه هو، فجلست بضعة دقائق ساكنة ثم نظرت نحوه فرأيته هو الآخر يتطلع نحوي، فلم أتمالك نفسي ونهضت على الفور وتقدمت نحوه مادة إليه يدي بالمصافحة، فابتسم بدوره فصافحني في دهشة قائلاً: هل تعرفيني؟

فرددت عليه بابتسامة: لا أعرفك ولا تعرفني ولكننا اتفقنا على اللقاء في هذا المكان عبر الهاتف من خلال الإعلان المنشور بالجريدة، فهز رأسه علامة على النفي قائلاً: آسف.. لست هو.

فشعرت بخجل شديد اجتاحني.. فتعثرت كلمات الاعتذار التي خرجت من شفتاي في غير وضوح، وعدت في سرعة نحو مائدتي.. أنزوي في مقعدي وأعود.. أنتظره وقد تملكني الحرج والضجر، ومع بلوغ الساعة الثالثة والنصف.. عرفت أنه أعطاني

ميعاداً زائفاً.. واعتقدت أنه يستهين بي، ولكنني في حاجة إليه.. إنه الأمل الوحيد المتبقي.. وليس من سبيل أمامي سوى انتظاره، ولكن الوقت مضى.. حتى أن الزبائن اختلفوا.. واستمر النادلون يروحون ويجيئون ينظرون نحوي تلك النظرات المقلقة.. وأنا لم أزل في مكاني حول المائدة المستديرة.. أنتظر قدومه، وأتساءل: هل سيأتي؟ ، هل كان أحد الجالسين ولم يعرفني؟ ، فالجالسون كثيرون.. ينهضون ويغدون، ومرت ساعات وساعات.. حتى فقدت الإحساس بالزمان.. والمكان.. والزبائن تتبدل والنادلون يتغيرون والزمن يمضي.. وأنا مازلت قابعة حول المائدة المستديرة.. في انتظار قدومه....

اللوحة ٢



اللوحة

اللوحة كبيرة.. تحوي مزيجاً من اللون الأحمر والأسود والأزرق، تحملها جدران قديمة.. ذات شقوق كبيرة ونتوءات غائرة.. عميقة، أجلس ساعات وساعات أتأملها وأنتقل ببصري عبر الشقوق التي تتخذ خطوطاً متعرجة من أسفلها وإلى أعلاها.. وكأنها لا نهاية لها.

ولما رغبت في طمث الألوان.. تساءلت: كيف؟ ، وبمرور الوقت توصلت إلى أن السبيل الوحيد هو دخول لون جديد يتغلغل داخل اللوحة فيمحو تلك الألوان، فاشتريت علبة ألوان كبيرة لا تحتوي سوى على اللون الأبيض.. الذي خلطته بالماء حتى ما إذا أصبح ذا قوام غليظ.. أمسكت بالفرشاة وبدأت عملي، ولكن مر وقت طويل ولم تنطمث الألوان.. فاشتريت علبة أخرى وأخرى،ثم نحيت الفرشاة جانباً.. وأخذت أسكب العلبة كلها فوق اللوحة، ولكن الألوان ظلت على حالها.. واضحة.. جلية.. تثير اشمئزازي وتستفزني.. ولا تسمح بعبور اللون الأبيض داخلها، فقلت في تحد:

إذن.. لابد من حرق تلك اللوحة.. فأمسكتها وأشعلت بها النيران التي زحفت على الفور والتهمتها بألوانها الثلاثة.. واحترقت اللوحة.. وسقطت فوق الأرض رماداً.. مجرد رماد.

فتبسمت ضاحكاً في نشوة.. وانحنيت أجمعه بكلتا يديّ..، ولكنني تجمدت في مكاني فجأة.. حينما نظرت فوق الجدران.. إذ كانت الألوان الثلاثة ترقد في شموخ فوق الجدران.. تنظر نحوي ساخرة.. ولسان حالها يقول في شفقة: لن تستطيع أن تمحونا أبداً.. فلابد من تواجدنا سوياً.. حتى تكتمل اللوحة.. شئت أنت أم أبيت.. فهكذا ارتسمت اللوحة.. وهكذا ستنتهي، فوقفت في مكاني والحسرة والخزي يملآني وقلت في مرارة: ويالا خيبة أملي.. فجدراننا.. متصدعة....

المقص

المقص

تجمع حشد كبير من الناس حول الجسد الذي رأوه يندفع فجأة خارجاً من منزله.. يتلوى فوق أرض الشارع.. يلتقط أنفاسه في صعوبة ويجمع وجهه بين الحمرة الزرقة، فتجمع حوله المارة.. وأدركوا أنه يعاني من شيء ما.. غير أنه عاجز عن الإفصاح مما يعاني منه.. وكل ما يفعله هو التشبث بالأرجل الكثيرة التي صنعت حوله دائرة، وحينما يقترب منه أحدهم.. يحرك رقبته في ألم.

فقال أحدهم في جزع: لعله يكون مريضاً بأزمة قلبية، ثم رد آخر: أو بضيق في التنفس، فنظروا نحوه، فإذا به يهز رأسه علامة على النفي، فبدت على وجوههم إمارات الحيرة ثم تساءلوا في هلع: إذن ما الذي يعاني منه؟ ، وما الذي يؤلمه؟ ، حتى قال أحدهم في يقين: يبدو أن هذا الشخص يعلم جيداً سبب ألمه.

وعقب آخر مؤكداً: أجل.. ومن الواضح أنه سيفقد حياته إذا لم نسرع بانقاذه.

فاقترب منه أحد الواقفين قائلاً في رفق: هيا.. استجمع قوتك وأشر نحو موضع الألم، ثم تقدم منه الواحد تلو الآخر حتى هتفوا جميعاً: هيا.. استجمع إرادتك.. إنها حياتك.. هيا أشر.. أشر، وارتفعت أصواتهم حتى صارت صيحات قوية، والشباب يحاول جمع شتات قوته المتبقية، ويحاول استخدام إرادته المفقودة، وبالفعل نجح.. مع تلك المحاولات المستميتة نجح.. وكأنه يتحدى المستحيل.. وكأنه ينهض من جديد، وأشار بإصبعه نحو رابطة عنقه، ورغم الدهشة التي تملكتهم.. أسرعوا جميعاً نحو رابطة عنقه.. وبعد محاولات مضنية لم يتمكنوا من حلها، وفي ذعر جلسوا حول الشاب واضعين أيديهم فوق رؤوسهم في خيبة، والشاب يحاول التقاط أنفاسه في صعوبة.. وقد امتقع وجهه بزرقة الموت، ثم استكانت حركاته حتى تسمح لجسده بالعبور نحو اللانهائية، ومع احتضاره.. تسللت عباراتهم في حرقة.. معبرة عن عجزهم عن انقاذ الشاب، ولكن فجأة وجد الجميع شخصاً يعبر أجسادهم ويقترب من الشاب ثم يخرج من جيبه مقصاً.. ويضغط به على رابطة عنق الشاب وأخيراً.. انحلت الرابطة....

المسجد

المسجد

كان المصلون في واد والإمام في واد آخر، فالمصلون غير عابئين بتمام الصف الأول ... متبعثرين هنا وهناك ... ينأى كل منهم عن الآخر ... وكأن المكان الذي يقف به كل منهم غايته ومنتهاه، وكلما حاولت أن أدني منكبي أو قدمي من أحدهم حتى أسد منافذ الشيطان، إذا بأصواتهم تأفف، ثم إذا بالمصلي يتقدم إلى الأمام أو إلى الخلف - حتى بدا الاعوجاج يتجلى بوضوح في كافة الصفوف .. فقررت الخروج للحظات من الصلاة حتى أسوي الصفوف، وفي احترام ورفق دفعت بكل مصلي ليقف بجوار أخيه في صف واحد منضبط، ولكنهم لم يبالوا بصنيعي وعادوا إلى أوضاعهم السابقة وباءت محاولاتي بالفشل، فعدت إلى صلاتي مرة أخرى .. أما عن الإمام فلا تسل عن حاله .. إذ لم يكن حاله بأفضل من حال المصلين، فحينما هم بالتلاوة .. سمعت صوتا هو أنكر الأصوات وأكثرها نفورا، ناهيك عن العثرات والزلات التي لحقت

بتلاوته وهو يتلعثم كأنه طفل لم يزل بعد يتعلم أصول التلاوة، وما أدهشني حقا هو عدم اهتمام المصلون بتصحيح أخطائه .. بل على العكس وقفوا من خلفه يستمعون في صمت غريب.

وتساءلت في قرارة نفسي: ألا يوجد بينهم من يحفظ كتاب الله ويتلوه حق تلاوته؟ ، ألا يوجد إمام غير هذا الذي يحتاج إلى تعلم كتاب الله من جديد؟ ، فرفعت صوتي بعدما أصابني الحنق من تلك التلاوة لأصحح أخطاءه، ولكنه .. أصر على الاستمرار في تلك التلاوة المخطئة، والمصلون من خلفه.. يتبعونه في غير مبالاة بذلك الخلل الذي لحق بصفوفهم ولا بذلك الإمام الذي يحتاج إلى تعلم أصول التلاوة، ولكن الصلاة انتهت.. فوقف الإمام .. ووقف المصلون استعدادا للخروج من المسجد، ففتحت أبواب المسجد .. وتدافع المصلون من خلفه .. رجالاً ونساءً .. كل في طريقه .. فسرت بينهم في ذهول .. وأنا أتساءل .. هل أدينا بالفعل تلك الصلاة .. خلف هذا الإمام .. ووسط تلك الصفوف المخلخلة ......

أمنية

أمنية

اخترقت أذني صوت قدمين .. قويتين .. تنزلان درجات سلم منزلنا .. تعلنان عن قوة جسد حاملهما، فدفعني فضولي بسرعة الوقوف في الشرفة للتعرف على صاحبهما.. فإذا بي أطلق صفيراً .. قصيراً لإبداء إعجابي الشديد بصاحبة هاتين القدمين .. إذ كانت شابة .. حسناء، ثم رأيتها تعبر شارعنا وتطلق ساقيها للريح، حتى اختفت، فانتظرتها .. حتى أنبأني صوت قدميها القويتين عن قدومها .. فاستراحت نفسي لعودتها مع أنني لا أعرفها ولم أكلمها قط .. فقط كنت أسمع صوت ضحكاتها .. الرقيقة .. الرنانة .. وأنفاسها التي تعبر كياني حينما أحس بقدومها .. ثم عرفت بعد ذلك اسمها .. الذي كان يتردد وقعه في أذني كنغمة تمس شغاف قلبي كان اسمها "أمنية".

ومع مرور الأيام .. ازداد قلبي تعلقا بها .. حتى قرّرت محادثتها .. وكعادتي انتظرت خروجها في الصباح .. ولكنها لم تخرج، ثم



مضت أشهر طويلة .. ولم أعد أسمع صوت قدم "أمنية" التي كانت تدب بقدميها القويتين فوق درجات السلم .. كما لم أعد أسمع ضحكتها الأخاذة .. فتسلل القلق إلى نفسي .. وما كدت أطرق بابها لمعرفة ما أصابها .. حتى سمعت صوت أقدام كثيرة تنزل درجات السلم .. فنظرت من شرفتي لمعرفة ما يجري بمنزلنا .. فإذا بأيد كثيرة تحمل جسد أمنية .. القوي .. غير أنه لم يعد قويا .. ممشوقا .. كسابق عهده .. وإنما بدا جسدها .. هزيلاً .. ضعيفاً .. مستكيناً داخل سيارة الإسعاف .. التي انطلقت بها .. واختفت: ومنذ ذلك اليوم لم أرها بعد ذلك أبدا .. حتى نسيتها.

وبعد مرور أعواماً طويلة .. سمعت شخصا ينادي امرأة قائلا: هيا .. يا "أمنية".

فتشوشت الأفكار واختلطت بعقلي .. وتردد الاسم في ذاكرتي، وفكرت متسائلا: هل كانت هناك امرأة ما؟ في يوم ما؟ تسكن منزلنا؟ وتدعى "أمنية"؟ ...

الخانة رقم ثلاثة

الخانة رقم ثلاثة

انطلقت صفارة الحكم معلنة عن بداية السباق .. سباق الجري للمسافات الطويلة .. وانطلق اللاعبون .. كانوا جميعا ذوي بنية قوية وأجساد ممشوقة عتية .. فيما عدا ذلك الشاب الذي احتل الخانة رقم ثلاثة .. إذ بدا جسده نحيفاً .. ضعيفاً، مما أثار دهشة الجماهير، فكيف لصاحب تلك البنية المتواضعة الدخول في منافسة مع تلك الأجساد العتية، ولكن هيهات .. فقد أصبح السباق أمراً واقعا.

ومنذ البداية والهتافات ترتفع لتؤازر وتعضد كافة المتسابقين فيما عدا بالطبع اللاعب الذي يعدو في الخانة رقم ثلاثة ...

ولكن الفتى جرى .. جرى وسط تلك الأجساد العتية .. ذات العضلات البارزة، ومنذ البداية والنتيجة كانت معروفة ... إذ أن ذلك الشاب لم يتمكن من التقدم حتى على أقل المتسابقين بنية، فضلا عن كونه كان يتعثر كثيرا حتى كاد يسقط عدة مرات، مما دعا الجماهير لإطلاق ضحكات عالية.. مدوية، ولكنه كان يتدارك عثراته ويعاود الجري من جديد.

ومضـت نصـف سـاعة .. والشـاب الضـعيف فـي الخلـف وسـائر المتسابقين في الأمام .. فالبون بينه وبينهم شاسع .. عميق، ثم فجأة: انطلقت الهتافات والصيحات نحو ذلك الشاب الضعيف تهتف به في قوة: انسحب .. انسحب .. اترك حلبة السباق .. اتركها .. اتركها وظلت الهتافات ترتفع حتى هزت الأجواء.

ولكن الشـاب لـم يلتفت لهتافـاتهم المحطمـة .. المحبطـة .. بل علـى العكس .. فقد زادته تلك الهتافات إصرارا علـى مواصلة السباق .. وظل الشاب يعدو ويعدو حتى استطاع اجتياز أحد المتسابقين .. ثم اجتاز آخر .. ثم آخر .. وظل يتقدم ويتقدم حتـى تمكن من اجتياز كافة اللاعبين والوصول إلى خط النهاية وسط ذهول الجماهير والحكام، الذين أعلنوا عن فوز "الخانة رقم ثلاثة".

غير أن ما حدث بعد ذلك قد أثار الدهشة بحق، إذ أن قدما الفتى لم تتوقفا رغم سماعه صفارة النهاية، بل ظل يعدو ويعدو، وعينيه .. ثـابتتين .. متشـبثتين بشـيء بعيـد .. أبعـد مـا يكـون عـن التفكيـر والخيـال .. أبعـد حتـى عـن حلبـة السـباق وخـط النهايـة، إذ فـوجئ الجميع بالفتى يثب وثبة قوية.. عالية .. طويلة، سبح خلالها جسده الضـئيل فـي الهـواء إلـى أن اسـتقر فـوق ظهـر جـواد .. عربـي .. جـامح .. قـوي، فـانطلق بـه الجـواد .. وانطلـق وانطلـق ومـا تـزال الأفواه فاغره ....

الإغاثة

الإغاثة

بسم الله الرحمن الرحيم

أمي العزيزة، أبي العزيز، إخوتي الأعزاء:

بعد التحية/

حينمـا تقـرءون هـذا الخطـاب .. أرجـو ألا تندهشـوا أو تتعجبـوا، فلطالما علمتم بما حباني به المولى عز وجل من قدرة على التنبؤ بالمستقبل، وقد أثبت لكم ذلك بالفعل، لذا .. أكتب إليكم لأذكر لكم آخر توقعاتي:

سوف تسمعون أصـوات نعـالهم وهـم يصـعدون درجـات السلم ثم سيحطمون الباب ليدنون منكم فيحملون أجسادكم ويقذفون بها من النوافذ والشرفات، حينئذ سوف تتحطم أجسادكم .. وتصبح مجرد أشلاء، ولكنني لن أكون معكم .. ولن أتعذب مثلكم .. ولن يمتهنوا جسدي مثل أجسادكم .. فقد فضلت الموت بإرادتي حتى لا أقف

عاجزة .. خائفة .. مستسلمة، فلا تبكوا لفقداني حينما تقرءون خطابي .. فلسوف تلحقون بي سريعا، غير أن الفارق بين قوتي وقوتكم كبير، ولسوف تدركون هذا الأمر بأنفسكم.

والسلام ،، ختام .....

وعند انتهاء الخطاب .. تساقطت عبراتهم ... وارتفعت أصوات نحيبهم عالية .. خفاقة، ولكن الصمت خيم عليهم فجأة .. وحل محله الخوف .. حينما أرهفوا السمع .. فتنهاى إلى مسامعهم .. أصوات نعال قوية .. تصعد درجات السلم لتقترب وتقترب، فوقفوا في ذهول يلجمهم الفزع وتشمل إرادتهم الرهبة والهلع .. حتى تهشم الباب على أيديهم .. ثم اقتربوا منهم .. حاملين أجسادهم ليلقون بها من النوافذ والشرفات، حتى تحطمت أجسادهم وافترشت دماؤهم أرجاء الشارع.

ومع ذلك المشهد المروع .. الدامي، سقط خطابها مخضوباً باللون الأحمر القاني، و ... وتحققت آخر نبوءاتها ....

المسافر ٢

المسافر

جريت تحت النفق حتى كادت تنزلق قدمي من فرط سرعتي، ولكن لم تمنعني سرعتي من سؤال كافة الناس الذين كانوا يسيرون من حولي عن رقم الرصيف الذي يقف فيه القطار المتوجه نحو بلدتي، فأشاروا إليّ نحوه، ولكن مع عدم تركيزي لم أوفق للوصول إلى الرصيف إلا بعد معاناة شديدة .. حتى تمكنت أخيراً من معرفة الرصيف، فصعدت السلالم بسرعة جنونية واندفعت نحو أحد الأكشاك لأسأل البائع وأنا ألهث بشدة "هل أتى القطار المتوجه نحو بلدتي"، فلما أجابني بلا: اندفعت نحو أحد المقاعد الخالية والمتناثرة هنا وهناك: أجلس فوقه .. حتى راحت أنفاسي تهدأ قليلا .. قليلا ثم استكان جسدي تماما، ثم إذا بي أتشاغل بالتأمل في كل مكان من حولي حتى يحين موعد القطار الذي لم يعد يتبق على وصوله سوى دقائق بسيطة، فلفت انتباهي عدداً كبيراً من الحقائب التي يحملها المسافرون .. أنواع وألوان .. مختلفة .. متباينة، فمنها

الجديـدة .. اللامعــة .. ومنهـا القديمــة المتهالكــة .. ، ومنهـا .. الصغيرة .. ومنها الضخمة .. الهائلة، وبحركة لا إرادية مددت يدي تحت قدمي للاطمئنـان علـى حقيبتـي، فكانـت الفاجعـة .. أن الحقيبـة غير موجودة، فارتفعت دقات قلبي وأنـا أتذكر المكـان الـذي نسيتها به؟ ، ولما لم أتمكن من التذكر، تسـاءلت فـي هلـع: ولكـن مـا العمل الآن؟ ، فالقطـار على وشك الوصول، فهل أنتظـره أم أذهب للبحث عن حقيبتـي، فحقيبتـي مازالـت جديدة تحتـوي علـى كافـة متعلقـاتي وحاجاتي، فكيف لي أن أرحل بدونها؟ ، وكدت أسقط مغشيا علي لـولا وصـول القطـار الـذي زاد الموقـف تعقيدا، ممـا جعلنـي أجلس ساكناً: رغم أن عقلي كان يعمل بقوة ليحثني علـى اختيـار أمرين لا ثالـث لهمـا، فإمـا الصـعود للقطـار والرحيـل وتـرك الحقيبـة، وإمـا العودة للبحث عنها و ... والانتظـار، ولسوء حظـي لـيس بحـوزتي نقوداً تمكنني من حجز تذكرة أخرى واللحاق بالقطار التالي .. وفـي خلال تلك الثواني القليلـة .. تزاحم النـاس من حـولي يتخبطـون فـي محاولة الوصول إلى القطار، حتى رأيتهم يصعدون ويستقرون فـي أمـاكنهم .. وامـتلأت العربـة عـن آخرهـا، فقـررت تـرك الحقيبـة

وركوب القطار، فجريت وجريت للوصول إلى العربة .. ولكن القطار كان قد بدأ يتحرك .. فحاولت الاقتراب منه ومددت يدي للتشبث به، ولكن سرعته زادت .. ثم تضاعفت حتى أصبح من العسير اللحاق به، ورحل القطار، فضربت على جبهتي في حنق ثم أدرت ظهري لأنزل درجات السلم فأسير تحت النفق باحثا عن الحقيبة المفقودة .. حتى وجدتها تحت شباك التذاكر، فحمدت الله أنها لم تسرق .. فأمسكت بها وسرت وأنا على يقين من أن محاولاتي المضنية للرحيل لا يمكنها أن تتحقق بل ولا يمكنني اتخاذ قرارا بالسفر في القطار للعودة إلى بلدتي وفقا لإرادتي ورغبتي فقط ....

النصاب والبلهاء

النصاب والبلهاء

حقا يدعو هذا الحي للرثاء، فإذا تطلعت نحوه .. وجدت العديد من البيوت القديمة المشققة .. البالية .. المتباعدة .. وبداخلها .. عددا من البطون الجوعى والأفواه العطشى والملابس الرثة والأقدام العارية التي تكسوها جلود خشنة وأظافر طويلة .. متسخة، كما تنبعث من أجسادهم أقذر أنواع الروائح، فكيف ..لا؟ والمياه مقطوعة عنهم باستمرار .. يسيرون في الشوارع بوجوه واجمة، وعيون زائغة .. تائهة، يسيرون بلا قلوب أو عقول .. بلا هدف .. ولا هوية، فقط .. يسيرون.

وأما بداخل الأسواق والمحال .. فيجلس الباعة .. يلتفون حول بضاعتهم الكاسدة .. المتعفنة، وعلى الرغم من كسادها وتعفنها .. يتكالب الأهالي على اقتنائها .. بل قد يصل بهم الحال إلى اختطافها من بعضهم البعض .. فيتشاجرون ويتراكلون ويتنافسون للحصول عليها .. وليس ذلك سوى لشراء بضاعة .. عطنة .. فاسدة.

وأما في الأطراف المترامية لهذا الحي، يقطن صاحبه .. في قصره ذا القبة العالية والحديقة الغناء .. الواسعة، لا يقترب منه الجوع ولا يدنو منه العطش .. يرتدي أبهى الحلل .. لا علاقة له بالحي ولا بما يجري داخله .. يعيش في معزل عن أحداثه وكأنه لا يملكه، فيتجمهر الأهالي تحت شرفة قصره .. إذا ما استبد بهم الجوع وعصف بهم العطش، هنا فقط .. يضطر للخروج إليهم بحلته البهية متسائلا في هدوء عن طلباتهم، فيشتكي هذا من الجوع وذاك من العطش وتلك من العري، ويسرد كل منهم شكواه، حتى ترتسم في النهاية على شفتيه ابتسامة واسعة ثم يقول في ثقة: مهلا أبناء الحي .. اتركوا لي عاما واحداً فقط وبعدها سأحقق كافة آمالكم وأحل كل مشكلاتكم، فتتراقص قلوبهم، ويهتفوا في قوة، عاش صاحب الحي.

ولكن العام يمضي .. ثم تتوالى أعوام أخرى .. والحال يزداد سوء، ولا يجد الأهالي سوى معاودة التجمهر من جديد تحت شرفة

قصره، فيهتف لهم من جديد أنه لن يمر العام إلا والتغيير حادث لا محالة، ثم يدخل ويخرج: حاملاً أكياس قليلة بشتى أنواع الأطعمة وزجاجات المياه ويلقي بها من شرفته، فيهجموا عليها ويتقاتلون، فيثير ذلك المشهد بالفعل الاشمئزاز والسخرية، فيقف صاحب الحي قليلا .. يتطلع نحوهم في سخرية، ثم يغلق باب شرفته وهو يهز رأسه متعجباً، ثم تمضي أعوام طويلة .. يجلس فيها أهالي الحي محملين بالأمل ..في انتظار تحقيقه.

حتى أتى يوم سأل فيه أحد أبناء صاحب الحي أبيه وهو يتطلع من شرفة القصر نحو الحي البعيد: أبت؟

فأجابه والده: أجل.

فرد عليه ابنه قائلا: ألا تخشى من عاقبة اشتداد الجوع والعري والعطش الذي يعاني منهم أبناء هذا الحي .. ألا تخشى أن يأتي اليوم الذي ينتهكون فيه قصرنا فيسلبونا أموالنا ويجردوننا من ممتلكاتنا.

فنظر نحوه والده نظرة عميقة .. صامتة، ثم انفجر فجأة بضحكة مدوية .. رنانة .. عالية، وأشار من بين ضحكاته في سخرية واستهتار نحو ذلك الحي قائلاً: من؟ ، أخشى من؟ أأخشى مجموعة من البلهاء ......

الفهرس

عـــود ثقـــاب واحـــد

٩	اللعـاب	....	٤١	٤٤
١٠	الحكـــة	....	٤٥	٤٨
١١	قوالب طوب	....	٤٩	٥٢
١٢	الخط المستقيم	....	٥٣	٥٦
١٣	صالة الإنتظار	....	٥٧	٦٠
١٤	أخـــي	....	٦١	٦٤
١٥	المطعم	....	٦٥	٦٩
١٦	اللــوحة	....	٧١	٧٤
١٧	المقـص	....	٧٥	٧٨
١٨	المسـجد	....	٧٩	٨٢
١٩	أمنـــية	....	٨٣	٨٦
٢٠	الخانة رقم ثلاثة	....	٨٧	٩٠
٢١	الإغـاثـــة	....	٩١	٩٤
٢٢	المسافـر	....	٩٥	٩٩
٢٣	النصاب والبلهاء	....	١٠١	١٠٦



نجلاء سرى
e-mail: nagla_serry@yahoo.com

النصاب والبلهاء

حقا يدعو هذا الحى للرثاء , فإذا تطلعت نحوه..وجدت العديد من
البيوت القديمة المشققة .. البالية ..المتباعدة.. وبداخلها
من البطون الجوعى والأفواه العطشى والملابس الرثة والأقدام
التى تكسوها جلود خشنة وأظافر طويلة .. متسخة , كما
اجسادهم أقذر أنواع الروائح , فكيف ..لا؟ والمياة مقطوعة
باستمرار .. يسيرون فى الشوارع بوجوه واجمة , وعيون ز
يسيرون بلا قلوب أو عقول .. بلا هدف .. ولا هوية, فقط